الفكر الحجاجي والمباحث الحجاجية لدى الدكتور (محمد بن سعد الدكان) في كتابه (الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري)

إعداد : م.م علي ثامر أكبر علي البياتي
الجامعة العراقية / كلية الآداب / قسم علوم القرآن
ali.th.akbar @aliraqia.edu.iq

الملخص :

إن تفرد أحد الباحثين المعاصرين في تقديم طرح جديد لمفهوم الحجاج اللغوي في الآونة الأخيرة يعد ظاهرة مهمة جديرة بالبحث والعناية ، وهذا ما تضمنته الدراسة التي بين أيدنا حيث تناولت الفكر الحجاجي والمباحث الحجاجية لدى الدكتور(محمد بن سعد الدكان) والتي قدم فيها طرحا جديدا عن مفهوم الحجاج اللغوي تضمنها كتابه (الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري) وهو بلا شك يمثل قيمة علمية فريدة تُسجل ضمن الدراسات اللسانية المعاصرة والجادة ، فالمؤلف يمتلك رؤية لسانية وحجاجية مستقلة وانفرد بتقديم آراء قيمة لايمكن إغفالها بحال من الأحوال فضلا عن الخصائص الفكرية التي يتمتع بها وعمل على بثها بين دفتي كتابه ، كل هذه الحقائق التي تقررت لدينا كانت بمثابة الإجابة عن تساؤلات أهمها: ماهي ماهية الفكر الحجاجي لدى الدكتور محمد بن سعد الدكان، وما الرؤيا الجديدة التي قدمها حول الحجاج اللغوي، ثم ما هي طبيعة المباحث الحجاجية التي طرحها في كتابه وغيرها من التساؤلات المثيرة للفضول المعرفي ؟ فأخذت هذه الدراسة الموجزة على عاتقها الإجابة عن كل ذلك ، وقد وقع هذا البحث في مقدمة ومباحث أربعة ثم خاتمة فقائمة بالمصادر والمراجع ، وقد تركز المبحث الأول على المفاهيم والأسس التي وضحت مفهوم الحجاج اللغوي والتعريف بالمؤلف وبكتابه ، وجاء المبحث الثاني ليكشف عن المبادئ الحجاجية في فكر المؤلف ، ثم المبحث الثالث الذي انصب على المنطلقات الحجاجية لديه ، في حين عُني المبحث الرابع بالتقنيات الحجاجية ثم خاتمة للنتائج ، مذيلة بقائمة المصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية : الفكر الحجاجي، المباحث الحجاجية، سعد الدكان ، الدفاع عن الأفكار .

Abstract:

The uniqueness of a contemporary researcher in presenting a new approach to the concept of linguistic argumentation in recent times is an important phenomenon worthy of research and attention. This is what the study at hand includes, addressing the argumentative thought and argumentative discussions of Dr. Muhammad bin Saad Al-Dukkan. In this discussion, he presented a new approach to the concept of linguistic argumentation, included in his book (Defending Ideas: The Formation of the Argumentative Ability and Intellectual Debate). This undoubtedly represents a unique scholarly value that is recognized within contemporary and serious linguistic studies. The author possesses an independent linguistic and argumentative vision and is unique in presenting valuable opinions that cannot be overlooked under any circumstances, in addition to the intellectual characteristics he possesses and has worked to disseminate within the covers of his book. All of these facts that we have

established serve as answers to the most important questions: What is the nature of Dr. Muhammad bin Saad Al-Dukkan's argumentative thought? What is the new vision he presented regarding linguistic argumentation? What is the nature of the argumentative discussions he presented in his book? Other questions that arouse intellectual curiosity? This brief study has undertaken to answer all of this. It consists of an introduction, four chapters, a conclusion, and a list of sources and references. The first chapter focuses on the concepts and foundations of linguistic argumentation and introduces the author and his book. The second chapter explores the argumentative principles in the author's thought. The third chapter focuses on his argumentative premises. The fourth chapter explores argumentative techniques, followed by a conclusion of the results, followed by a list of sources and references.

Keywords: Argumentative Thought, Argumentative Studies, Saad Al-Dukkan, Defense of Ideas.

المقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين ، تبرز أهمية هذا البحث حينما يتم الكشف عن التفكير الحجاجي لدى باحث ومؤلف لساني من الطراز الرفيع وهو الدكتور (محمد بن سعد الدكان) فهو مؤلف له خصائص فكرية ورؤيا لسانية مستقلة تثير الفضول العلمي والمعرفي لدى الباحثين وتدفعهم إلى التعرف على مزايا فكره اللساني وخصائصه العلمية ، التي أودعاها في كتابه (الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري) فهذا الكتاب له من الأهمية في ميدان الحجاج مالا يسع لأي باحث لساني حجاجي إلا أن يُضمّن دراساته وأوراقه البحثية بالكثير من مباحثه والاستشهاد بأقواله وآرائه ، فضلا عن التعرف على تكوينه الفكري ، وهو ما دفعني إلى هذه الدراسة المستقلة عنه . إذ تتلخص هذه الدراسة بأربعة مباحث تسبقها مقدمة وتليها خاتمة مع قائمة المصادر والمراجع ، حيث تناولنا في المبحث الأول التعريف اللغوي والإصطلاحي للحجاج ، ثم التعريف بالمؤلف وبالكتاب وبيان خصائصه العلمية والأسلوب والمباحث التي تضمنها ، ثم أتى المبحث الثاني تحت عنوان (المبادئ الحجاجية) ليكشف عن ماهية هذه المبادئ التي تمخض عنها فكر الدكتور ، وبعد ذلك انتقلت إلى المبحث الثالث والذي حمل عنوان (المنطلقات الحجاجية) محاولين التعرف من ماذا ينطلق الفكر الحجاجي لدى المؤلف ، في حين جاء المبحث الرابع والأخير بعنوان (التقنيات الحجاجية) وهو مبحث يجيب على تساؤل مهم مفاده : ماهي التقنيات الحجاجية التي يعتمدها الدكتور ؟ ، ثم بعد ذلك خاتمة لأهم النتائج التي خلص إليها البحث ، مع قائمة للمصادر والمراجع التي تنوعت بين القديم والحديث ، وفضلا عن ذلك حاول الكشف عن الأبعاد الوظيفية للمباحث الحجاجية في فكر الدكتور ، من خلال استعراض ضمني لهذه الأبعاد الوظيفية ، والله أسأل أن يتقبل منا ، والحمد لله رب العالمين .

المبحث الأول

التعريف بالحجاج والمؤلف والكتاب

أولا : التعريف اللغوي والاصطلاحي

تعريف الحجاج : يتحتم على البحث بدايةً القيام بتقديم تصورا عن مفهوم الحجاج لدى القارئ الكريم ليتسنى له الوصول إلى المقصود من هذه الدراسة ، ومن هنا كان لابد من البحث في المدونة المعجمية عن دلالة هذا المصطلح ثم التعريج على الدراسات اللسانية المماثلة التي تكشف معناه الاصطلاحي

١- **الحجاج لغة :** يتردد لفظ الحجاج كثيرا في المدونة المعجمية ويحمل دلالات عديدة ، إلا أن الثابت فيه هو اشتقاقه **من الثلاثي (حجّ)** أو من الرباعي مضعف العين واللام (حاجّ) وبصيغة أخرى قد يرد بتعبير (حاجج) فقد ذكر ابن فارس (ت٣٩٥ ه) أن الحجاج يراد به القصد لغة وفي الأساس ، لكن هذا اللفظ اختصت دلالته فيما بعد ب (بحج بيت الله الحرام (١) ومن الواضح جدا أن الحجة في اللغة أيضا مشتقة من هذا المعني اللغوي اللذي أوردناه لان بها يقصد الحق المطلوب يقال (حاججت فلان فحججته أي: غلبته بالحجة ، وذلك الظفر يكون عند الخصومة ، والجمع حجج ،والمصدر حجاج)(٢).

،(و) قد تأتي الحِجَّةُ بمعنى (: السَّنَةُ) والجَمْعُ حِجَجٌ.(و) الحِجَّةُ! والحَاجَّةُ: (شَحْمَةُ الأُذُنِ)....، والحَجَّةُ بِالْفَتْحِ: (خَرَزَةٌ أَو لُؤْلُؤَةٌ تُعَلَّقُ فِي الأُذُنِ...(و) الحُجَّةُ (بالضَّمّ) : الدَّلِيلُ و (البُرْهَانُ) وَقيل: مَا دُفِعَ بِهِ الخَصْمُ، وَقَالَ الأَزهريّ: الحُجَّةُ: الوَجْهُ الَّذِي يكون بِهِ الظَّفَرُ عِنْد الخُصومة. وإِنما سُمِّيَت حُجّةً لأَنّها تُحَجُّ، أَي تُقْصَدُ، لأَنّ القَصْدَ لَهَا وإِليها، وجمعُ الحُجّة وحِجَاجٌ.({والمِحْجاجُ) بِالْكَسْرِ: (الجَدِلُ) ككَتِفٍ، وَهُوَ الرَّجلُ الكثيرُ الجَدَلِ(و) تَقول: ({ أَحْجَجْتُه) إِذا (بَعَثْتهُ ليَحُجّ).(و) قَوْلهم: و ({حَجَّةِ الله لَا أَفْعَلُ، بِفَتْح أَوّلِه، وخَفْضِ آخِرِهِ: يَمِينٌ لَهُمْ)(٣).

ومن الواضح جدا للقارئ الكريم الذي سيطلع على التعريف الاصطلاحي للحجاج ، وجود تناسب دلالي بين المعاني اللغوية التي أوردناها سابقا ، وبين المعاني الاصطلاحية للحجاج التي سنذكرها لاحقا .

٢-الحجاج اصطلاحا : بعد البحث والتحري في المصادر و الدراسات التي تهتم بالحجاج تبين للباحث وجود تعاريف عديدة لهذا المصطلح آثرت أن أورد أبرز هذه التعريفات ,

وعلى ما يبدو أن خير ما نفتتح به من تعاريف هو لرائد الدرس الحجاجي العربي أبي بكر العزاوي ،فالحجاج عنده (يتمثل في انجاز تسلسلات انتاجية داخل الخطاب) (٤)

وهو بهذا التعريف ينطلق من الوظيفة التواصلية للغة فـ(لا لغة من غير تواصل ولا تواصل من غير لغة)(٥) إذن العزاوي يرى في الحجاج لابد من كونه:(مجموعة من الحجج والأدلة التي تخدم النتيجة المقصودة والغاية المتوخاة)(٦)

و من وجهة نظر أخرى يرى الفيلسوف المغربي الدكتور طه عبد الرحمن أن الحجاج بأنه (كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوة مخصوصة يحق له الاعتراض) (٧). وكما هو واضح من التعريف

---

(١) يُنظر: معجم مقاييس اللغة : ٢/ ٢٣.

(٢) نفسه:: ٢/ ٢٤,٢٣

(٣) نفسه: ٤٦٣/٥، ٤٦٤. و تاج العروس : محمد بن محمد مرتضى الزبيدي (ت : ١٢٠٥هـ) : ٤٦٣/٥.

(٤) اللغة والحجاج : أبو بكر العزاوي :١٠.

(٥) كتاب الحجاج اللغوي قراءات في أعمال أبو بكر العزاوي : تأليف عدد من الباحثين : إشراف د. حسن مسكين: ١٢.

(٦) الخطاب والحجاج: أبو بكر العزاوي :٩، وينظر اللغة والحجاج : للمؤلف نفسه :٢١، ودراسات في أعمال أبو بكر العزاوي : د. المدني بورحيس:١٥٨.

الأخير يبرز المنحى الفلسفي للدكتور طه عبد الرحمن ، إذ إن الغرض الحجاجي عنده متوقفة على فهم المنطوق أو البناء اللغوي . و(يرى باحثون أن المؤلفات الحجاجيّة تزخر بتعريفات الحجاج بيد أنه من الصعب الإحاطةُ بها جميعها؛ لذا فالاقتصار على بعضها يوجه القارئ وجهةً محددة و إن الوقوف عليها مجموعةً في صفحات محددة لا يرتجى منه فائدة) (٨)

وهو ما يتفق معه الباحث (محمد بن سعد الدكان) الذي نحن بصدد دراسته في هذا البحث إذ نص على (أن رؤى اللسانيين المعاصرين حول مفهوم الحجاج قد تناثرت وبغت حدا من التكاثر)(٩) لكنه بعد عرض جملة كافية من تعريفات اللسانيين للحجاج يخلص إلى أنه جميع هذه التعريفات التي تهتم بمصطلح الحجاج أو توشك أن تكون على مقربة منه تدل دلالة واضحة على أن المقام الجامع الذي تنتمي إليه جميع هذه المصطلحات المعرفة للحجاج هو مقام حواري يحيل على وجود(١٠) (طرفين اثنين على الأقل وهي بذلك تقتضي تكلم من طرف في مقابل مستمع لا يتدخل في الحوار كما هو الحال في الخطابة)(١١)

ثانيا: التعريف بالباحث محمد بن سعد الدكان وكتابه (الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري) :

هو محمد بن سعد الدكان ، كاتب سعودي وباحث في مجال علم اللسانيات الحديثة ودراسات الخطاب ، أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. حصل على الماجستير في البلاغة والنقد ، عنوان رسالته (القصة النبوية في الصحيحين ، دراسة بلاغية تحليلية) ثم حصل على الدكتوراه في البلاغة والنقد وكانت دراسته بعنوان : (المثاقفة في النقد العربي القديم ، دراسة نقدية حتى نهاية القرن الخامس).

من إسهاماته البحثية :

- مشهد السرد في الحديث النبوي ،دراسة في قصص الصحيحين (رسالة ماجستير).
- بلاغة العقل العربي ، تجليات المثاقفة في التراث النقدي، (أطروحة دكتوراه) المركز الثقافي العربي بيروت .
- ذاكرة الشعر وتذكر الشاعر ،التجربة الشعرية لعبد الله بن سليم الرشيد، دار النشر العربي بيروت .
- كتاب (الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري)

---

(٧) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ،ط١ ١٩٩٢،ص:٢٦، والحجاج بين الدرس اللساني العربي والغربي :١١.

(٨) الحجاج اللغوي في الدراسات اللسانية العربية الأصول والامتدادات (أطروحة) : خالد سعد عبد الله:٢١، وينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية تطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة :مجموعة مؤلفين تحرير وإشراف : حافظ إسماعيل علوي :١/ ٤٣.

(٩) الدفاع عن الأفكار وتكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري ط١، ت.ط ٢٠١٥ ، ص: ٢٩.

(١٠) ينظر المصدر نفسه : ص: ٣٠.

(١١) المصدر نفسه :٣٠. و في أصول الحوار وتجديد علم الكلام : د. طه عبد الرحمن ، لبنان بيروت ، ط٣ ، ت. ط:٢٠٠٧ المركز الثقافي العربي ص:٣٧.

- يعمل الآن على انجاز دراسة بعنوان (لسانيات الخطاب الفقهي – قراءة في أدوات التأثير وآليات الإقناع (١٢).

القيمة العلمية والحجاجية لـ (كتاب الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري):

يمكن القول بأنَّ القيمة المعرفية لهذا الكتاب أتت على مستوى عال من البحث، ودرجة بالغة من الجهد الذي أودعه الباحث فيه ، فهو يعد بمثابة مدونة لسانية قد اشتملت على آراء كثيرة من قبل المشتغلين بحقل الحجاج مع بسط واف لها وطريقة عرض لا تخل بالمضمون ؛إذ أنها غطت أغلب الدراسات التي عنيت بهذا المجال مع استيفاء تام لكل المباحث الحجاجية التي تناولتها الدراسات السابقة منذ النشوء وحتى زمن الدراسات المعاصرة فضلا عن حضور شخصية الباحث العلمية في ضمن هذه المباحث بشكل مميز وقد كان حضورا يتراوح بين مؤيد أو معارض لرأي ما ،أو محللا للأقوال التي عمل على تعزيز بحثه بها وهو الأمر الذي أغرى صاحب هذا البحث بأن يتخذ منه عنوانا لدراسته هذه .

ومما يذكر في هذا الصدد أن مؤلف الكتاب قد عمل على التغطية التاريخية لنظرية الحجاج منذ التأسيس وحتى العصر الحديث ، ولم يغفل عن ذكر الجذور التاريخية لهذه النظرية في التراث العربي قديما وحديثا ، مع الجهود الغربية التي تناولت النظرية بشطريها القديمة والحديثة أيضا .

أما عن أسلوب الكاتب في التأليف : فهو يتسم بالحصافة والالتزام بالمنج العلمي الذي لم يشذ عنه ، مع سهولة العبارة والعزم على تبسيط المفاهيم التي ينتابها الغموض والتعقيد في بعض الأحيان .

مضامين الكتاب ومباحثه : كما سبق ذكره أن البحث عمل في كتابه على تغطية تامة لكل جوانب النظرية الحجاجية وعمل على وضع مسرد تاريخي لها ، مع بسط للمصطلحات الخاصة بالنظرية والتعريف فكان على دراسته واقعة في خمسة فصول وهي على النحو التالي :

الفصل الأول : ركز فيه على التعريف بالحجاج والمفاهيم التي اشتمل عليها .

الفصل الثاني : هو بمثابة مسرد زمني غطى فيه الحركة الحجاجية منذ التأسيس وحتى العصر الحاضر ، مع تقسيمات ببلوغرافية توضح دور الباحثين العرب قديما وحديثا في التعرض لهذه النظرية مع ذكر الباحثين الغرب القدماء والمحدثين الذين تناولها أيضا فضل عن محاولة التأصيل لجذور النظرية عند العلماء العرب .

الفصل الثالث : عني بالكشف عن المبادئ التي تقوم عليها النظرية الحجاجية كمبدأ التعاون ،ومبدأ التأدب ، والمواجهة ، والتصديق ، والاعتراف .

الفصل الرابع : انصب البحث فيه على تسجيل المنطلقات الحجاجية : وهي باختصار العوامل التي تثير النشاط الحجاجي وتؤججه ، أو هي بتعبير آخر الأرض الخصبة التي تنتج العملية الحجاجية ، ومن هذه المنطلقات : الوقائع ، الحقائق ، الافتراضات ، القيم ، الهرميات .

الفصل الخامس : تم الكشف فيه عن التقنيات المستخدمة في العملية الحجاجية ، وهي بحسب تقسم المؤلف تأتي على قسمين : تقيات لغوية ، وأخرى عقلية . (١٣)

المبحث الثاني

المبادئ الحجاجية

---

(١٢) الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري ص: ١.

(١٣) ينظر : الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري : ٩,٨ ،٧.

وجود الروابط والعوامل الحجاجية غير كاف لضمان سلامة العملية الحجاجية ، بل غير كاف لقيام علاقات حجاجية ، إذ أنه لابد من ضامن يؤمن عملية الربط بين الحجة والنتيجة، يطلق على هذا الضامن والعنصر الكافل للعملية الحجاجية ب(المبادئ الحجاجية) ، حيث تمثل هذه المبادئ القواعد العامة التي تجعل الحجاج ممكنا ولها خصائص عديدة من أهمها :

أنها تمثل مجموعة من المفاهيم والأفكار المشتركة داخل مجموعة لغوية أو بشرية معينة .

أنها تتصل لعدد كبير من السياقات المختلفة والمتنوعة .

تتسم بالتدرج أي أنها تقيم علاقة بين محمولين أو موضوعين تدريجيين كالعمل والنجاح مثلا .

النسبية ، فإلى جانب السياقات التي يتم فيها انشاء مقام حجاجي ما ، يكون من المحتمل إبطاله ورفض تطبيقه باعتباره غير وارد وغير ملائم للسياق المقصود ، أو يتم نقضه باعتماد مبدأ حجاجي آخ(١٤)

فالمبادئ الحجاجية هي مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعات لغوية وبشرية معينة ، الكل يتفق على صحتها ويسلم لها ، فمثلا الكل يعتقد أن(العمل يؤدي إلى نجاح ، وإن التعب والإرهاق يتطلب الراحة).

وبعض هذه المبادئ متعلق بالجنب الأخلاقي ، وبعض منها يتصل بالجانب المعرفي (١٥) حيث يسعى كل طرف في العملية الحجاجية إلى اختيار هذه المبادئ حسب طبيعة المتلقي للخطاب بما ينسجم مع الأفكار والحجج التي يراد توجيهها له (١٦).

ومن ثم فإن لهذه المبادئ أهمية كبرى في العملية الحجاجية، إذ من خلالها يتحقق الانسجام بين المتحاجِجين ، ويصل كل منهما إلى مبتغاه ، فضلا عن كونها تضمن سلامة العملية الحجاجية برمتها وسيرها بشكل متناسق ومنتظم (١٧) .

وحين نسلط الضوء على المبادئ الحجاجية في تفكير الدكتور محمد بن سعد الدكان نرى أنها (مقومات عامة لهذا النشاط التواصلي التفاعلي ،قام برسمها علماء التناظر والاستدلال قديما ،وأثراها وأغناها كثير من التداوليين واللسانيين حديثا .) (١٨)، وهذا النص يشي بوضوح على اعتقاد الدكتور بأن هنالك جذورا تاريخية في التراث ولاسيما العربي لهذه المبادئ وهي نتيجة تراكمية من البحث والإثراء ، إذ إن القارئ للفكر الحجاجي عند الدكتور سيشعر بالعمق التاريخي والامتداد التراثي في كاتباته ، حينما يجد أنه قد استظهر جهود العرب والمسلمين في التأصيل للمبادئ الحجاجية ، حيث يقول : (وفي هذا السياق ، تأتي بعض إشارات الفقهاء والعلماء قديما في شأن التعامل الأدبي والأخلاقي بين المتناظرين ، فمن ذلك ما أشار إليه أبو الوفاء ابن عقيل في كتابه الجدل بقوله : ((فأما آدابه التي إذا استعملها الخصم وصل ، وإن لم يستعملها كثر غلطه ، واضطرب عليه أمره ...))(١٩) (وكذلك ما أكد عليه أبو حامد الغزالي في باب

---

(١٤) ينظر اللغة والحجاج : أبو بكر العزاوي: ٣٣.

(١٥) ينظر : المصدر نفسه :٣٣.

(١٦) ينظر : بحث القيم والمواضع الحجاجية في رسائل المقري : سهيلة عبد الحفيظ ، العياشي عمري ص: ٣٦٥ ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب ، مجلد ١١ ، عدد ٣٣ سنة ٢٠٢٢ ،

(١٧)) ينظر : شكري المبخوت ضمن كتاب: هم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية منذ أرسطو إلى اليوم: فريق بحث البلاغة والحجاج، إشراف الدكتور :حمادي صمود، مجلة جامعة الآداب، تونس، ع١ ، ص: ٩٩.

(١٨) الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج : ٩٩ .

(١٩) الجدل على طريقة الفقهاء : ٢ ، الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج : ١٠٢.

(أدب المجادل)(٢٠) والجويني في كتابه (الكافية في الجدل) وأبو الحسن الأشعري وآخرين) (٢١)وليس هذا فحسب بل الحديث في تفكير الدكتور عن مبادئ التواصل الحجاجي يمثل حديثا عن جملة من القواعد العامة والكليات الكبرى ، ويبدو أن هناك قيمة وظيفة لهذه المبادئ في نظر الدكتور، إذ أنه يرهن عملية ضبط المقام الحجاجي والمسار التحاوري بهذه المبادئ ، وفضلا عن ذلك فهو يؤيد انقسام هذه المبادئ على مستويين ، الأول يتمثل بالمستوى الأخلاقي، والثاني يتمثل بالمستوى التداولي أو المعرفي. (٢٢)

ويرى الدكتور محمد سعد أن اللسانيين المحدثين تحدثوا كثيرا عن ضرورة هذه المبادئ الحجاجية لكن أبرز من كتب عنها هو اللساني الغربي (جيوفري ليتش) مع اللساني والفيلسوف المغربي (طه عبد الرحمن) ويعتقد الدكتور محمد سعد أن كتابات اللسانيين الأخرى لم تخرج عن وحي ماكتبه (جيوفري ليتش) و (طه عبد الرحمن)(٢٣) . ويمكن أن نستعرض هذه المبادئ التي تبناها الدكتور في كتابه بشكل مختصر على النحو التالي :

مبدأ التعاون :وهو المبدأ الأول من مبادئ التواصل الحجاجي، وهو من المبادئ التواصلية الكبرى ، ويعد الفيلسوف اللساني (بول غرايس) أول من أشار إليه ، في محاضراته

(محاضرات في التخاطب) وهو في هذا المبدأ ينطلق من افتراض تداولي تفاعلي ، مفاده : أن المتحاورين هما مساهمان في محاورة مشتركة ، ينبغي على كل منهما المساهمة في احترام مبدأ التعاون بكيفية عقلانية تداولية اجتماعية ،ليتم تأويل أقوال كل طرف وفهمها كما يجب (٢٤) ، وبتعبير آخر للدكتور يقتضي هذا المبدأ بأن يكون قصد الطرفين المشتركين في العملية الحجاجية إظهار الحقيقة او الصواب بطرق مشروعة.(٢٥) ويخلص الدكتور إلى أن هذا المبدأ الحجاجي هو الأهم على الإطلاق من بين المبادئ الأخرى .

مبدأ التأدب : إن صيغة هذا المبدأ مستمدة من عبارة (لتكن مؤدبا) أثناء الحوار ، إذ يقتضي هذا المبدا بأن يلتزم كلا من المُحاجِج والمحاجَج ،بضوابط التهذيب بشكل لايقل مستوى عن التزامهما بهدف التبليغ . (٢٦) والذي أسس لهذا المبدأ هو الفيلسوف الأمريكي بول غرايس أيضا حيث يأتي هذا المبدأ بهدف تحديد أخلاقيات التواصل الحجاجي (٢٧) . ويرى الدكتور أن لهذا المبدأ قيمة وظيفية يمكن الاستفادة منها بما يتفق مع خصوصية الخطاب الحجاجي. (٢٨)

---

(٢٠) إحياء علوم الدين ٤١١١، ومنطق الكلام : ٣٧٥ .، والدفاع هعن الأفكار : ١٠٢

(٢١) الكافية في الجدل :٥٣٥ – ٥٤١ ،ومجرد مقالات الأشعري ٢٩٣.

(٢٢) ينظر المصدر نفسه : ٩٩.

(٢٣) ينظر : الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج : ١٠٤ .

(٢٤) ينظر : النظريات اللسانية الكبرى : ٣٦٨ ، التداولية من أوستين إلى غوفمان : فيليب لانشيه : كرجمة صابر حباشة : ٨٤ ، واللسان والميزان : طه عبد الرحمن :٢٣٨ ، والدفاع عن الأفكار ١٠٥.

(٢٥) ينظر الدفاع عن الأفكار : ١٠٥

(٢٦) ينظر اللسان والميزان :٢٤٠.

(٢٧) ينظر : النظريات اللسانية الكبرى ، من النحو المقارن إلى الذرائعية : ترجمة : محمد الراضي:٣٦٨ . والدفاع عن الأفكار : ١١١ .

(٢٨) ينظر: الدفاع عن الأفكار :١١٢ .

٣- مبدأ المواجهة : هذا المبدا لايتجه بشكل مباشر إلى التواجه الكلامي كما يتبادر إلى الذهن، وإنما المقصود به ، هو صون وجه المتحاور أو المُحاجِج عن كل مايسوؤه في عملية التمثيل الحجاجي ، أي أن كل طرف من أطراف الحوار لابد له من أن يعمل على الاتزام بكل ما يحافظ على صون وجه المقابل من الإساءة (٢٩) . وقد وردت الإشارة لهذا المبدأ لدى كل من العالمين التداوليين (براون) و (ليفنس) في دراستهما المشتركة (الكليات في الاستعمال اللغوي) (٣٠) . وفي البحث اللساني التداولي يتم التعبير عن هذا المبدأ بعبارة (لتصن وجه غيرك) (٣١) . ويرى الباحث الدكتور محمد سعد أننا في هذا المبدأ بحاجة على التركيز على بعد أخلاقي مهم يعمل على حفظ المسافة الأخلاقية بين طرفي العملية الحجاجية(٣٢) ومن الأمثلة التي أوردها الدكتور محمد بن سعد التي تخل بهذا المبدأ وتنتهك الخطاب الحجاجي (٣٣) :

تهديد المخاطب والتحذير من عواقب مايدلي على مستوى العلاقات .

الإساءة بالقول من المخاطب والسخرية منه .

التشكيك في النوايا .

٣- مبدأ التصديق : تقرر في الدراسات اللسانية أن هذا المبدأ يهتم بالحقيقة التي ينبغي على كل من أطراف العملية الحجاجية أن يعمل الوصول إليها والاعتراف بها ، وفي هذا الصدد يقول الباحث اللساني الغربي (بور ريال) : (أنه لما كانت الحقيقة مثمنة في ذاتها اقتضى تثمينها أن تعرض وتقدم بكيفية لايكون من شأنها إثارة المعاندة ، وإلا كان هذا الفعل خطأ كيفيا ، ومعلوم حسب جماعة بور ريال ، أن أخطاء الكيف عادة تكون أقوى تأثيرا وأكثر اعتبارا من أخطاء المضمون) (٣٤) ، ويظهر لنا من النص السابق حقيقة هذا المبدأ الذي يقتضي على كل من طرفي عملية التمثيل الحجاجي أن يكونا متجردين للحقيقة باحثين عنها فحسب ، لايأبهون بما سواها ، كما أكد ذلك الدكتور طه عبد الرحمن في معرض كلامه عن أخلاقيات العمل الحجاجي : (أن يقصد المناظر الاشتراك مع خصمه في إظهار الحق والاعتراف به ، حتى لا يتباهى به إذا ظهر على يديه ، ولا يعاند فيه إذا ظهر على يد خصمه) (٣٥) .

وعند البحث في المدونات القديمة للخطاب الحجاجي ، نلحظ أنه ثمة جملة من الإشارات التي تدعم الاهتمام بهذا المبدأ الحجاجي الذي يحث المتحاججين على التجرد عن كل ماهو خارج إطار الحقيقة ، (وأنه لا ينبغي لأي طرف من طرفي المناظرة أن يكون متوصيا بمناظرته و جلوسه لها بيان فضيلته على صاحبها وإظهارها ..... وأنه على كل واحد من الطرفين ألا يبالي أقامت الحجة له أم قامت عليه إذا الهام هو الحجة وليس مع من كانت الحجة) (٣٦) ، وفي الحقيقة يمكننا أن نعد هذه النصوص والإشارات هي تسجيل سبق لعلمائنا المسلمين في مضمار الحجاج.

---

(٢٩) ينظر : الحوار الاختلافي : ١٢٥ .

(٣٠) ينظر : اللسان والميزان :٢٤٣.

(٣١) اللسان والميزان٢٤٣ ، والحوار الاختلافي : ١٢٥ .

(٣٢) ينظر : الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج : ١١٥ .

(٣٣) ينظر : الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج :١١٨

(٣٤) في منطق بور ريال : حمو النقاري : ٩٨_٩٠.

(٣٥) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام :٧٥ .

(٣٦) منطق الكلام : ٣٨٠ .

والمتتبع للفكر الحجاجي لدى الدكتور محمد بن سعد سيجد عنده أن هذا المبدأ يشكل إحراجا منهجيا وتداوليا كبيرا أكثر من غيره من المبادئ الحجاجية لان من خلاله يتم امتحان الكفاءة الحجاجية والمقدرة على تطبيق هذا المبدأ وقواعده في سياق حجاجي فكري يتم الحوار فيه حول : الإقصاء ، الممانعة ، المرجعيات ، الهوية ، المواطنة ، المصلحة ، الشرعية ، ... إلخ أكثر من امتحان تطبيقها في سياق آخر(٣٧)

وعن القيمة الحجاجية لهذا المبدأ ينص الدكتور على أنه (تظل الحاجة إلى احترام هذا المبدأ والالتزام بقواعده في كل السياقات الحجاجية التي يبدو فيها الإخلاص للذوات والتمركز حولها أكثر من الإخلاص للحقائق واحترامها .) (٣٨)

٤_ مبدأ الاعتراف : ومفاده هو حينما تبدأ أي عملية حجاجية يعمد المحاوِر بالتوجه إلى غيره وهو الطرف المحاوَر ليطلعه على مايعتقد أو يعرفه حول الموضوع التي تقام على أساسه العملية الحجاجية مطالبا إياه بمشاركته اعتقاداته ومعارفه (٣٩) وفي هذه المشاركة بالاعتقاد والمعرفة حول الموضوع يكمن مبدأ الاعتراف ، وهذا المبدأ الحجاجي يولي الطرف الآخر أو المقابل أو المحاجَج أهمية كبيرة ويقتضي الاعتراف تجاهه بأمرين مهمين(٤٠):

الأول : الاعتراف بوجود هذا الآخر وأنه ركن من أركان البناء الحجاجي .

الثاني: الاعتراف بحقه في الاختلاف .

ولم يغفل الدكتور محمد بن سعد الدكان عن دور وجهود علمائنا العرب والمسلمين في تناول هذا المبدأ والتأسيس له في مدوناتهم الحجاجية القديمة ، حيث عملوا على ترك إشارات توجيهية تدل على توجيه الأطراف المتحاججة أو المتناظرة إلى العناية بهذا المبدأ والالتزام به في عملية التمثيل الحجاجي ، وذلك عبر الاعتراف المتبادل بحقوق الخصم على أخيه الخصم في المجلس الحجاجي أو المناظرة ، طالما اتسمت إشاراتهم في الارشاد والتوجيه (٤١)، ومن ذلك ما نص عليه أبو الوليد الباجي أنه ينغي على كل واحد من الطرفين (أن يقبل من صاحبه الحجة فإنه أنبل لقدره وأعون على إدراك الحق وسلوك سبيل الصدق) (٤٢) ومن إشارات أبي المعالي الجويني قوله : (لا تؤاخذ الخصم بما تعلم أنه لايقصده من أنواع الزلل ،بل تعلم أنه يسبق اللسان ومما لايخلو المتكلم منه ..... وأن تفهم معانيه غية القصد والاستقصاء)(٤٣) .

وخلاصة الفكر الحجاجي للدكتور محمد بن سعد حول هذا المبدأ ، (أنه يتم الاعتراف بالمناظر ، أو الآخر ، أو المحاجج في أي مقام حجاجي ، حين ندرك أن هذا الآخر لديه من التصورات والمعتقدات حول فكرة

---

(٣٧) ينظر الدفاع عن الأفكار :١٢١ .

(٣٨) المصدر نفسه :١٢١ .

(٣٩) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام : ٣٧ .

(٤٠) كتاب (الغير) : إعداد وترجمة محمد الهلالي وعزيز الأزرق٨٣ ، ومبادئ فلسفة التعايش ٢٢.

(٤١) ينظر : الدفاع عن الأفكار : ١٢٤.

(٤٢) المنهاج في ترتيب الحجاج :١٣ ، والدفاع عن الأفكار :١٢٤ .

(٤٣) الكفاية في الجدل ،٥٣٥ ، والدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج ،١٢٤.

ما ماهو موجود لدينا نحن من هذه التصورات .... كما أن الاعتراف بالآخر في المقام الحجاجي هو ذلك الاعتراف الذي يوقظ الوعي فينا بالصورة الحقيقية للاختلاف معه ، وأهمية هذا الاختلاف ...) (٤٤)

المبحث الثالث

المنطلقات الحجاجية

تمثل هذه المنطلقات أو عاملا مشتركا لكل من المتكلم والمتلقي قبل البدء بالعملية الحجاجية ، كما وتعد محل قبول لهذين الطرفين ، كما أن نجاح الإقناع وحصوله متوقف على هذه المنطلقات ، وفي حالة غيابها عن العملية الحجاجية ، فإنها تؤدي إلى ظهور نتائج عكسية على التمثيل الحجاجي، وفي هذا السياق يشير بيرلمان إلى عواقب إغفال هذه المنطلقات واستبعادها من العمل الحجاجي بما يسبب خطأ فظيعا ، حيث يذكر : (إن ذلك الذي يتجاهل في حجاجه ، قبول المتلقي للمنطلقات يقترف خطأ كبيرا ، وهو المصادرة على المطلوب) (٤٥) ، وتستمد هذه المنطلقات أهميتها ، من جهة اعتمادها المحور الأساس في عملية التمثيل الحجاجية ،فبعد القيام بتعيين الفكرة أو الموضوع الذي سيقام حوله الحجاج ،يسعى المُحاجج إلى اختيار أحد هذه المنطلقات (٤٦) ، وذلك بحسب طبيعة ونوعية الجمهور المتلقي ، ثم بعد ذلك يعمل طرفا الحجاج على استعمال التقنيات الحجايجة التي ستُوظف في الخطاب ، ((لأن للخطاب قبل أن يستوي كيانا مشكلا من تقنيات حجاجية يواجه بها المتكلم المخاطب لإيقاع التصديق على المنطلقات والتي يكون مدارها على المقدمات تؤخذ على أنها مسلمات يقبل بها الجمهور ، واختيار هذه المقدمات وطريقة صوغها وترتيبها ، له في حد ذاته قيمة حجاجية بحيث يبدو الفصل بين درس منطلقات الحجاج ، ودرس تقنيات الحجاج فصلا متكلفا ولكنه فصل منهجي) (٤٧) ، ومما ينتظم في هذا السياق وبحسب مايقتضيه الفكر الحجاجي للدكتور محمد بن سعد الدكان ، أن هذه المنطلقات في حقيقتها منطلقات ثرية وشاسعة ومتنوعة ، تلزم المُحاجج انتقاء وتنظيما تكتسب بهما فاعليتهما الحجاجية ، ومناسبتهما للجمهور الذي تتوجه إليه ، هذا أولا ، كما أنها تتطلب انتقاء حسب الموضوع والفكرة التي يدور حولها الحجاج ، وبهذا الاختيار والانتقاء لهذه المنطلقات يثبت المُحاجج شيئا من كفائته الحجاجية (٤٨) . وبعد هذا يمكن للقارئ الكريم الإطلاع على أهم هذه المنطلقات بحسب العرض الآتي :

١- **الوقائع** :

تعد الوقائع عنصرا موضوعيا يفرض نفسه على أطراف العملية الحجاجية بوصفه أحد المسلمات ومشترك يقر به الجميع ، لكن ثمة مجال احتجاجي يتيح لأحد الطرفين أن الاعترض عليها أو نقضها لذا لايمكن تسمية الوقائع وإدراجها ضمن نطاق المسلمات إلا بعد أن يتم التسليم بها وقبولها من الطرف الآخر ، وحصول اتفاق ضمني مشترك عليها يكون بعيدا عن الطعن (٤٩) ،ولذلك يشترط شاييم بيرلمان في الوصول إلى الحقيقة بعدها عن النقض ، وهو مايجعلها مقبولة وصالحة للحجاج ، أما إذا كانت واقعة

---

(٤٤) الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج : ١٢٦,١٢٥.

(٤٥) النظرية الحجاجية عند شاييم بيرلمان : ٤٣,٤٢.

(٤٦) ينظر: أهم النظريات الحجاجية في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم : :٣٠٩ .

(٤٧) المصدر نفسه : ٣٠٨,٣٠٧ .

(٤٨) ينظر الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج : ١٣٧ .

(٤٩) ينظر الحجاج بين الدرس اللساني الغربي والدرس البلاغي العربي : ١١٦ .

ضمن نطاق الطعن والاعتراض ، فإنه لايمكن الاعتداد بها . (٥٠) إذن فينبغي أن تتوافر في الوقائع ثلاثة شروط (٥١) :

.تمثل ماهو مشترك بين جميع الناس ومحل اتفاق بينهم .

.لاتكون عرضة للدحض أو الشك.

.تقتضي اجتماعا كونيا ، إذ يشترط فيها التطابق مع ما يسلم به الجمهور ويعتقد به .

وبذلك (فإن المقدمة التي تستند إلى الواقائع يصوغها الخطيب في أي مقام حجاجي لايمكن ردها أو التشكيك فيها)(٥٢) .

ومن هذا السياق يمكن للقارئ الكريم أن يرصد قيمة الفكر الحجاجي للدكتور محمد سعد الدكان وهو يحدد أهمية منطلق الوقائع بما إذ نص عليه : (أنه يمثل هذا المنطلق أهم المنطلقات التي يمكن للمتكلم في حين الدفاع عن فكرة الاستعانة به) (٥٣) ، معززا رأيه بأقوال القدامى من العلماء العرب والمسلمين ، والمشتغلين بالدرس الحجاجي الحديث ، فمن ما أورده عن العلماء العرب القدامى ما نقله عن الجاحظ الذي أقام شأنا مهما لهذا المنطلق في الخطاب الحجاجي على المستويين النظري والعملي فالجاحظ (على المستوى النظري يؤكد عل الانطلاق من النشاط الاستدلالى التفاعلي من الواقع أو العيان كما سماه أو المشاهدة ويعلل ذلك ومن يماري في العيان إلا جاهل) (٥٤) . وأما ما أورده عن هذا المنطلق لدى الباحثين المعاصرين في الدرس الحجاجي فلم يختلف عن ما ذكرته في أول النصوص الواردة في هذا الشأن ، ومن ذلك على سبيل المثال ما نص عليه الدكتور: (وفي الدراسات الحجاجية المعاصرة يتم التأكيد على هذا المنطلق في الخطاب الحجاجي في إشارات ينجم عنها أن هذه الوقائع تمثل في كثير من الأنشطة التفاعلية الحجاجية مفهوم (المعيار) ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن الوقائع بكل أشكالها ومظاهرها الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية في الحياة تشكل في حقيقتها (رأيا) يوجه الحياة نحو توجه حجاجي ، مما يجعلها تؤدي وظائف داخل القول الحجاجي .) (٥٥)

الحقائق: وهي (موضوعات متفق عليها عند الجمهور يعمد إليها المتكلم للربط بين الوقائع أو للربط بين الحقائق والوقائع ، ليُحدث موافقة الجمهور على واقعة معينة غير معلومة) (٥٦) ، وهي أيضا بمثابة أنظمة أكثر تعقيدا (٥٧)وثمة حقائق يُسلم لها بشكل مباشر دون التعرض لها من قبل المتلقي ، سواء كانت هذه الحقائق دينية أم اجتماعية ام علمية صرفة أم سياسية أو غير ذلك من الأنواع ، وتتسم بامتناعها عن الطعن أو النقض ، وهذا هو الشرط الأساس للتسليم بها ، ومن مفهم المخالفة يمكن القول

---

(٥٠) ينظر : نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : ٤٣ ، والحجاج بين الدرس اللساني الغربي والدرس البلاغي العربي :١١٦ .

(٥١) ينظر : نظريات الحجاج ٢٤ . والخطاب الحجاجي لأهل البيت دراسة تداولية : ٧٢ .

(٥٢) الخطاب الحجاجي لأهل البيت دراسة تداولية :٣٧ .

(٥٣) الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج : ١٣٧

(٥٤) رسائل الجاحظ : ٣/٩٥ وينظر الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج :١٣٤.

(٥٥) الدفاع عن ال الأفكار ١٣٥ وينظر :عندما نتواصل مع الغير ، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج : ١٨٨

(٥٦) الحجاج في البلاغة المعاصرة : ١١١

(٥٧) ينظر : الملفوظات الحجاجية في خطب الإمام الحسن دراسة في هدي اللسانيات : د. ظافر الجياشي : ١٩.

أن الحقائق إذا تطرق إليها الاحتمال أو الشك ، تكون عرضة للطعن والاعتراض ، الأمر الذي يجعلها مستبعدة عن أي موضوع تناظري أو مقام حجاجي (٥٨)

ويرى الدكتور محمد بن سعد أن هذه الحقائق (هي وقود الخطاب الحجاجي وحين ينطلق الحجاج حول هذه الحقائق أو النظريات أو المفاهيم ، يصبح الحجاج شكلا من أشكال الفحص العلمي) (٥٩)

ولعل هذا التصريح الذي أدلى به الدكتور يرفع الغطاء عن القيمة الحجاجية العالية والأهمية البالغة التي يتسم بها هذا المنطلق في الفكر الحجاجي لديه ، وليس هذا وحسب ، بل إن الدكتور يرى أن المُحاجِج حينما يعمد إلى هذا المنطلق ويعمل على الربط بينه وبين منطلق الوقائع ، فإنه يمنح حجاجه بداية قوية نافذة . (٦٠) .

الافتراضات : تتلقى الافتراضات موافقة عامة من قبل الجمهور أو المتلقي ،لكنها أقل مقبولية عند المتلقي من الوقائع والحقائق ، لأنها في أغلب السياقات الحجاجية لا تحظى بمنزلة التسليم لدى المتلقي إلا مع وجود عناصر أخرى تدعمها وتعزز موقفها (٦١) ، وفي هذا الصدد يؤكد بيرلمان ما تم ذكره حول القدرة الإقناعية للافتراضات بقوله أن (شأنها شأن الوقائع والحقائق تحظى بالموافقة العامة ، ولكن الإذعان لها والتسليم لايكونان قويين ، حتى تأتي في مسارها الحجاجي عناصر أخرى تقويها) (٦٢)

وبعد إمعان النظر في الفكر الحجاجي للدكتور محمد بن سعد الدكان ، نجد أنه ثمة تفريق وظيفي بينه وبين المنطلقات السابقة الذكر (الوقائع ، والحقائق) فهو يرى أن الوظيفة الحجاجية لهذه الافتراضات تتمثل في جلب الحقائق المتوقع حصولها على ضفاف المستقبل ، خلافا للمنطلقات السابقة الذي يركز على استدعاء الحقائق من ذاكرة الماضي أو مما هو حاضر. (٦٣) وعن الوظائف الحجاجية لمنطلق الافتراضات يرى الدكتور أنه(يأتي في التفاعل بين أطراف الحجاج حاملا معه جملة من المعاني والوظائف التداولية) (٦٤)

كما يفصح الفكر الحجاجي لدى الدكتور أنه من جملة الوظائف الحجاجية للافتراضات هو إثارة الشك أو التهديد ، والرفض ، أو يأتي في سياق التحريض والاستمالة ، أو من أجل تحريك المتلقي نحو أفكاره (٦٥)

ولكنه يتفق بشكل تام أن هذا النوع من المنطلقات ، يحتاج إلى عناصر أخرى تقوي قيمته في عملية التمثيل الحجاجي ومن أهم هذه العناصر هي : استعداد المتلقي لاستقبال هذه الافتراضات من حيث وضوحها وإمكانية حدوثها ، ويعد ذلك مطلبا مهما في هذا المنطلق لضمان الاستمرار الحجاجي . (٦٦)

---

(٥٨) ينظر : الحجاج بين الدرس البلاغي العربي ، والدرس اللساني الغربي :١١٦ .

(٥٩) الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج : ١٤٢ .

(٦٠) ينظر : المصدر نفسه :١٣٩ .

(٦١) ينظر : الحجاج بين الدرس البلاغي العربي ،والدرس اللساني الغربي :١١٧ .

(٦٢) أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم :٣٠٩ .

(٦٣) ينظر : الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج :١٤٢ .

(٦٤) المصدر نفسه : ١٤٧ .

(٦٥) ينظر: المصدر نفسه :١٤٧ .

(٦٦) ينظر : المصدر نفسه : ١٤٧

ويبدو أن الباحث لم يغفل عن البحث في جذور هذا المنطلق في المدونة التراثية العربية والإسلامية ، فهو يوكد أن الفقهاء آثروا في خطابهم الفقهي استعمال هذا النوع من المنطلقات الحجاجية سواء في سياق الفتوى أو في سياق الردود والمناظرات الفقهية ، فهو يقر أن الفقهاء اتخذوا الافتراضات منطلقا من منطلقات الإقناع والحجاج ، وذلك عبر أساليب تركيبية متنوعة من بينها أسلوب (الفنقلة الشرطي) كقولهم : (فإن قال قائل ، أو فإن قيل ، أو فإن قلتم ، أو قلنا) وهذا الأسلوب الشرطي في نظره هو المفتاح الذي يربط التقاول المفترض بين طرفي الخطاب (٦٧)

القيم: تشكل القيم في العملية الحجاجية مكانة سامية ورتبة عالية ، يعول عليها في جعل المتلقي يذعن لما يطرح عليه من آراء ، لأن المتكلم حينما يريد إثبات موقفا ما أو رأي ما ، يعمد إلى هذه القيم ويقوم بانتقائها بدقة بما يتلائم مع أهدافه الحجاجية ، فهو حينما يرفض رأيا من الآراء التي يطرحها المُحاجج ، فهذا الرفض يكون مبنيا على أنه لا يتلائم مع القيم التي يؤمن بها ، وكذلك حينما يتبنى رأيا معينا فيتم ذلك تبعا لقيمة يتبناها ، أو حتى إذا عاب على خصمة سلوكا ما فهو ينبع من تنافي هذا السلوك مع القيم التي يلتزم بها (٦٨) .

ونتيجة لهذه الوظائف الحجاجية للقيم كان عليها مدار الحجاج بكل ضروبه (٦٩) ، لأن الأحكام الحجاجية في حقيقتها تخضع إلى موقف المتكلم ونظرته للأشياء ، حيث تعرف القيم الإيجابية والسلبية من مواقفه ، فمثلا ما يتم التعبير عنه بالأوصاف بأنه جيد وصائب ، أو حقيقي أو واقعي يندرج ضمن القيم السامية ، بينما ما يوصف بأنه قبيح أو زائف يعد من القيم المنحطة أو السالبة(٧٠).

وضمن إطار الفكر الحجاجي لدى الدكتور محمد بن سعد نلحظ أنه يرى القيم الحجاجية (نظاما إنسانيا ، وسلوكا رمزيا ، ومنطلقا مهما في التفاعل الحجاجي) (٧١) ، وتظهر أهمية القيم الحجاجية لديه من خلال تعبيرها عن مواقفنا المواجهة للواقع ، وأن لها حضورا مكثفا في أي عمل حجاجي ، يؤهلها لأن ترتقي إلى المظاهر الكونية ، إذ إن القيم عند شخص ما هي أمر عفوي ،وأنها مفعمة بالحساسية ، فضلا عن كونها فضاء واسع ولأجل هذه السعة عمل الحجاجيون على تقسيم القيم على ضربين هما : القيم الكونية أو المجردة ، والقيم المحسوسة (٧٢) .

فالقيم الكونية أو المجردة : هي جملة من القيم الإنسانية التي تكون محل اتفاق كوني لاتتحدد في بيئة معينة أو مجتمع دون آخر بل هي محل تسليم لدى الجميع (٧٣) ومن أمثلتها :(الحرية ، العدل ، المساواة ، الحق ، السلام ، والشجاعة .

---

(٦٧) ينظر : المصدر نفسه : ١٤٤.

(٦٨) ينظر الخطاب الحجاجي لأهل البيت : ٨٢ . والحجاج في الشعر العربي :٢٧٠ ، والحجاج في البلاغة المعاصرة :١١٢.

(٦٩) ينظر: في نظرية الحجاج :٢٧ .

(٧٠) ينظر: الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي :١١٨ .

(٧١) الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج :١٤٦ .

(٧٢) ينظر : الدفاع عن الأفكار :١٤٦.

(٧٣) ينظر : العقل الأخلاقي العربي: ١٩٨ ، والخطاب الحجاجي لأهل البيت :٨٣ .

أما القيم المحسوسة : وهي قيم تسهل ملاحظتها ويمكن مشاهدتها ، والإحساس بقيمتها ورمزيتها مثل :(المسجد ، والبيت الحرام ، والوطن ،وغيرها ، ولكن هذا النوع من القيم تتفاوت من مجتمع إلى آخر ، لأنها ذات صلة بمجموعة معينة وليست مشتركا عاما(٧٤) .

وبالجملة فإن هذه القيم لايمكن أن تتسم بالإطلاق بل على العكس من ذلك في نسبية وتخضع لهرمية ما ، فالجمال درجات ، والإيمان درجات ، وكذلك الشجاعة وبقية القيم الأخرى . (٧٥).

٢- **الهرميات** : ويطلق عليها التراتبيات أيضا (٧٦) ، فإلى جانب القيم ، يعتمد الحجاج على تراتبيات تكون مجردة تارة وملموسة تارة أخرى ، فمن أمثلة الهرميات الملموسة ، (الإنسان أسمى من الحيوان) و(الآلهة أسمى من الإنسان) ويمكن للمبدأ المجرد أن يقيم هرمية بين عدد كبير من الوقائع الملموسة ، في حين تربط الهرميات المتغايرة بين قيم مختلفة مثل (احترام الحقيقة أفضل من صداقة أفلاطون) (٧٧) ، فالحجاج مع القيم السابقة يرتكز على تراتبية الحجة بحسب قوتها ودعامتها الحجاجية ، وبناء على ذلك فإن القيم الحجاجية سواء كانت محسوسة أم مجردة تقوم على تراتبية وسلَّمية ، مما يجعل الوعي بتراتبيتها أهم من القيم في حد ذاتها (٧٨) .

ويذكر الدكتور محمد بن سعد أن هذا المنطلق (الهرميات) موصول بالمنطلق السابق (القيم) فهو يعد القيم هي العصا التي يتكئ عليها كل طرف منذ نشأة المقام الحجاجي، وحينما نوازن بين هذين المنطلقين نلحظ أن الفرق هو في التعدد بين القيم التي يشتمل عليها هذا المنطلق مع محاولة تحديد أي من هذه القيم هو الأولى ، وأما في المنطلق السابق (القيم) فلا تعدد فيه ولا أولوية (٧٩) وضمن سياق متصل بهذا الصدد يضيف الدكتور قائلا :(وأحسب أن رهانا مهما من رهانات الوعي الحجاجي ينبغي الانتباه له هنا ، وهو أن ندرك مسألة الاختلاف القائم في النظرة إلى القيم وتراتيبها والأولويات منها ،حين نفضل بعضها على بعض نحن أو الآخر وهذا الاختلاف هو عمود الحجاج وذروة سنامه)(٨٠) وبتعبير آخر أي : إن الحجاج إنما ينشأ من فكرة الاختلاف في النظرة إلى القيم وتفاضلها لدى هذا الطرف أو ذاك عند المباشرة في العملية الحجاجية ، ولكن الفيصل هنا هو مايملكه كل طرف من عدة علمية وذخيرة معرفية يمتلك بها ناصية الإقناع برأيه والدفاع عن فكرته في هذا المنطلق.(٨١)

المواضع : تمثل المواضع دعامة رئيسية وعمودا مهما في الخطاب الحجاجي ، وذلك لما توفره من قيمة استدلالية وحوارية في الملفوظ حينما يحقق الوظيفة الحجاجية في عملية التمثل الحجاجي ،

---

(٧٤) ينظر : الخطاب الحجاجي لأهل البيت :٨٤ .

(٧٥) ينظر : المصدر نفسه :٨٣ .

(٧٦) ينظر: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان :٤٨. والحجاج بين الدرس البلاغي العربي ، والدرس اللساني الغربي :١١٩،

(٧٧) ينظر: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان :٤٦ وينظر : الخطاب الحجاجي لأهل البيت : ٨٢.

(٧٨) ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر :١١٢ ، والحجاج بين الدرس البلاغي العربي ، والدرس اللساني الغربي :١١٦.

(٧٩) الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج :١٥٠,١٥١.

(٨٠) المصدر نفسه : ١٥١.

(٨١) ينظر: المصدر نفسه /١٥١.

فالمواضع عند أرسطو هي (ما تلتقي فيه الاستدلالات الخطابية) (٨٢) ، وقد عبر عنها الباحثون الحجاجيون بأوصاف مختلفة كوصف ، مخازن الحجج ، ومستودعات الحجج ، أو هي كما يرى أحد الباحثين (الأقفاص) التي يمكن لكل الناس أن يذهبوا إليها من أجل أن يأخذوا مادة الخطاب أو الحجج حول كل نوع من الموضوعات، وعدها بيرلمان (الخانات التي تقع تحتها الحجج التي يلجأ إليها المتكلم (٨٣) ، ومع أن للمواضع وظائفا استدلالية ، ثمة وظائف معنوية لها تكمن في تحديد الأطر المشتركة من التقاليد والأفكار والمبادئ لأفراد الأمة الواحدة(٨٤)

ومن حيث الأهمية لهذا المنطلق الحجاجي يرى الدكتور محمد بن سعد أن أهميته تتمثل فيما تقدمه هذه المواضع من مؤنة كافية ، وعدة احتياطية من الحجج التي ينهل منها طرفا العملية الحجاجية ، معللا ذلك بكونها الأقسام التي تقع تحتها الحجج التي يلجأ المتكلم كلما أراد التشريع لمطلبه من الخطاب لما فيها من صبغة استدلالية وإن الانطلاق من هذه المواضع يساعد على استدعاء الحجج(٨٥)

ويرى الدكتور أن هذه المواضع تأتي على ثلاثة أضرب (٨٦) :

مواضع الكم : وهي المواضع التي تثبت أن شيئا أفضل من شيء آخر لأسباب كمية بحيث يتكئ في الاحتجاج بها على مقولة (الكم ، والعدد) مثل (المال الكثير خير من المال القليل).

مواضع الكيف : ويقصد بها : تلك المواضع التي يستدل بها في الخطاب على أن أمرا ما أصلح من أمر آخر لأسباب تعود إلى هيئة ذلك الأمر وكيفية تشكله مثل: (كم من فقير سعيد وغني شقي).

مواضع أخرى : وهي مواضع أقل حضورا في التداوليات الحجاجية يمكن الإشارة لها بإيجاز مثل مواضع (الترتيب) ومثاله :(اعتبار السابق من القوانين والأحكام أفضل من اللاحق) ومن ذلك موضع (الموجود) ومثاله : (إن ما هو موجود أفضل مما هو محتمل الحصول) .

المبحث الرابع

تقنيات الخطاب الحجاجي

عند تحديد الهدف من إقامة النشاط الحجاجي وبعد تقديم طرفي العملية الحجاجية للمبادئ والمنطلقات يعمد كل من الأطراف إلى استعمال التقنيات المناسبة وتوظيفها في خاطبهم الحجاجي بقصد التأثير على الآخر وتغيير القناعات ، وفي هذا المسار يؤكد الدكتور محمد بن سعد على أهمية التقنيات فيقول : (هذا مفصل مهم من مفاصل الحجاج ، ومضرب من مضارب التناظر ، يعبر عن جملة من الأساليب والأدوات ، والتقنيات ، التي تعين المتكلم على القيام بالدور التخاطبي المنتظر منه في تبادله الحجاجي مع الآخر)(٨٧) ، وعن طبيعة هذه التقنيات يقول الدكتور : (فهي عبارة عن قوالب لها أدوارها التي تنظم العلاقات بين الحجج والنتائج ، أو تعين المخاطب على تقديم حججه بالطريقة التي تناسب السياق) (٨٨)

---

(٨٢) العوامل الحجاجية في اللغة العربية : ٨٢ .

(٨٣) ينظر: المصدر السابق : ٨٢ ، والحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته :٣١١

(٨٤) ينظر: في نظرية الحجاج :٢٧ .

(٨٥) ينظر: الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج :١٥٥

(٨٦) ينظر: لمصدر نفسه :١٥٥ إلى ١٦٠ .

(٨٧) الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج : ١٧٦.

(٨٨) المصدر نفسه : ١٦٨ .

إن مختلف التقنيات أو أنواع الحجج التي شخصها رائد الحجاج شاييم بيرلمان وعدد من اللسانيين ، تنصب على جنسين كبيرين من الحجج(٨٩) القسم الأول : (الحجج القائمة على الوصل)، والثاني : (الحجج القائمة على الفصل) ، فالقسم الأول من هذه الحجج تمكن من نقل القبول الحاصل حول المقدمات إلى النتائج ، وتسعى الثانية إلى الفصل بين عناصر ربطت اللغة أو إحدى التقاليد المعترف بها (٩٠).

وتقسم الحجج القائمة على الوصل على ثلاثة أقسام :

الأول :(حجج شبه منطقية) وهي القريبة من الفكر الصوري ذات الطبيعة المنطقية أو الرياضية .

الثاني :(حجج مؤسسة على بنية الواقع) وترتكز على الربط بين العناصر الموجودة في الواقع والمهم فيها هو وجود اتفاق بشأنها يؤهل للمُحاجج بناء عمله الحجاجي عليها بحيث تمكن له من الربط بين أحكام مقبولة ، وأخرى يسعى إلى أن تكون مقبولة .

الثالث : (الحجج المؤسسة لبنية الواقع) ، وهي التي تمكن المُحاجج من إثبات سابقة أو وضع قاعدة عامة أو خلق قدوة .

_**أما الحجج القائمة على الفصل** : يرى بيرلمان أنها جوهرية في أية تفكير لكن أنها قلما أثارت انتباه منظري الحجاج .

لكن التقنيات الحجاجية في فكر الدكتور محمد بن سعد الدكان لها وجوه أخرى وتصنيف مختلف فهو يقسم هذه التقنيات على : (تقنيات عقلية) و (تقنيات لغوية) .

التقنيات العقلية : لم يختلف الدكتور كثيرا عن بقية اللسانيين المشتغلين في حقل الحجاج فيما أوردوه بشأن التقنيات والحجج العقلية التي تم ذكرها سابقا ولا سيما ما تم نقله عن شاييم بيرلمان في أول حديثنا عن هذه التقنيات ، أما عن طبيعة هذه التقنيات في نظر الدكتور فهو يرى أن هذا النوع من التقنيات ينهض إلى التركيز على إعمال العقل أكثر من التركيز على إعمال البيان واللسان ، فهو يجد أن الحجاج من خلال هذه التقنيات يمر عبر العقل المحض أو النظر العقلي (٩١) ومن الجدير بالذكر أن أغلب هذه التقنيات التي أوردها الدكتور عند وضعها في تصنيف الحجج نجد انه تنتمي إلى الحجج الشبه منطقية ، والحجج المنطقية (٩٢) وهي كما يلي :

_ الحجاج بالقياس : من الحجج المنطقية ، وهو أحد أنواع الحجج والتقنيات التي يلجأ اليها الُمحاجج في اثبات ما تمس الحاجة إليه ، وتعريفه :(أنه قول مؤلف إذا سلم ما أورد فيه من القضايا لزم عنه لذاته قول آخر اضطرارا وإذا أوردت القضايا في الحجة سميت عند ذلك مقدمات.) (٩٣) و في البحث المنطقي نجد أنواعا من القياس وعدة تفرعات فيه (٩٤) غير أن الذي يهمنا منه قسمان الأول: القياس المنطقي والثاني : القياس المضمر، فهما يعدان من الأقسام الرئيسة في النظر القياسي ، والتي توفر القدرة العالية

---

(٨٩) ينظر: نظرية الحجاج : ٥٧ ، في نظرية الحجاج : ٤١، ولحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي : ١١٧

(٩٠) ينظر: المصادر السابقة وصفحاتها .

(٩١) ينظر: الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج :٢١٧.

(٩٢) ينظر : : نظرية الحجاج : ٦٣.

(٩٣) معيار العلم في فن المنطق :١٣١/١، وينظر : تهذيب فن المنطق في شرح إيساغوجي: ٣٧.

(٩٤) ينظر : تجريد المنطق: ٧.

على انتاج الحجج (٩٥)، ويتشكل من مقدمتين أو أكثر إذ يعتمد في تحديد المقدمات على الطرف الآخر بوصفه المنتج لها ، وهذه المقدمات أيضا تتألف من جزئيات منطقية صغرى ، وتمثل الأسس التي يرتكز عليها القياس .(٩٦)

وأما عن الوظيفة الحجاجية للقياس في نظر الدكتور محمد بن سعد ، فهو يجد أن القياس بأغلب أشكاله يعد من قبيل الملجأ الإقناعي للمحاجج ، وهو يضطلع بدور مهم في التأثير والتسليم للفكرة ، لكنه يرى أن نجاح هذه التقنية الحجاجية العقلية مرهون بما يمتلكه الماحجج من ملكة ذهنية وذكاء عقلي يمكنه من ربط بين المقيس والمقيس عليه (٩٧) .

- التعريف : يقوم المحاجج أو المتكلم باستعمال حجاجي يطابق به بين المفهوم والوصف الذي ينطبق عليه ، ويميز شاييم بيرلمان بين إجراءات المطابقة الحجاجية بين إجراءات لاتسعى إلا إلى التطابق الجزئي بين العناصر المتقابلة ، وبين أخرى تسعى إلى التطابق التام بين المفهوم واللفظ الموضوع له ، فالتعريفات تعمل على التعامل مع اللفظ المعرَّفة والعبارة التي تعَرفه على أن كلا منهما يعوض عن الآخر. (٩٨) والتعريف أو كما يطلق عليه العلماء القدماء ب(الحد) له شروط وأركان ينبغي أن تتوفر فيه حتى يحكم بسلامته من النقض (٩٩) ، ويرى الدكتور محمد سعد أن دلالة التعريف على ما يتضمنه هي دلالة مفصلة وهذه السمة لها أهمية كبيرة في العملية الحجاجية لأنها تعد تقنية ترسم خطوط الطول والعرض للفكرة المراد الدفاع عنها ، والمتكلم أو المُحاجج إذا درج على استعمال هذه التقنية منذ البداية فإن هذا يمثل دلالة أولى على تمكنه من فكرته وإلمامه بها ، وكلما كان المتكلم في بداية الحجاج مستثمرا لإمكاناته العقلية في توضيح الحدود والتعريفات المتصلة بأفكاره في الحجاج بلغة موجزة ومكثفة ، كان ذلك بلا شك إمارة أولى من إمارات الإقناع والنفاذ منذ البداية . (١٠٠)

التقنيات اللغوية : ارتبط الحجاج اللغوي بالعالم الفرنسي (أوزفالد ديكرو) إذ تم وضع الأسس الحجاجية عام (١٩٧٣) وذلك بمشاركة جهود العالم الحجاجي (أوزفيلد) حيث عمل كل منهما على التأكيد على أن (اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية فهي تضم في بنيتها مؤشرات متعددة لها تلك الوظيفة)(١٠١) .

ومن هذا المبدأ ينطلق الدكتور محمد بن سعد في أهمية هذه التقنيات من مقالة تفيد بأن (التفاعل الحجاجي غير منفك عن استعمال اللغة ، فما يقوم به المتحاجون هو أفعال لغوية) (١٠٢) فالدكتور يؤكد أن هذه اللغة هي نطفة المقام الحجاجي التي يتخلق منها ، وأن الحجاج سليل اللغة منها بدأ ومنها ينتهي ، لكن المقصود في تفكير الدكتور من وصف (التقنيات باللغوية)هو لفصلها وتمييزها عن نظيرتها الأخرى وهي (التقنيات المنطقية) وهذه التقنيات اللغوية تتميز باعتماد المتكلم فيها على اللغة وما توفره له من

---

(٩٥) ينظر: تاريخ الحجاج :٣٣,٣٢.

(٩٦) ينظر: الألفاظ المستعملة في المنطق : ٢٥ ، و تجريد المنطق :١٣.

(٩٧) ينظر: الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج : ٢٢٦.

(٩٨) ينظر: نظرية الحجاج : ٦٤ .

(٩٩) ينظر: تهذيب فن المنطق : ١/ ٢٣ .

(١٠٠) ينظر: الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج :٢٢٧ .

(١٠١) اللغة والحجاج : ٨١ ، وينظر: الحجاج اللغوي والدراسات اللسانية العربية الأصول والامتدادات :٧٩ .

(١٠٢) منطق الكلام ، من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي :٤٦٦

إمكانات وأدوات لغوية ولسانية موسومة في المجامع والمدونات اللغوية بمميزات خاصة ولها وظائف خاصة (١٠٣).

وتتعدد التقنيات اللغوية في التفكير الحجاجي للدكتور إلى مستويات تقنية مختلفة يذكرها الباحث على النحو الآتي :

المستوى المعجمي : في هذا المستوى يركز تفكير الدكتور على المعجم باعتباره (مخزنا يمد كلا المتحاجين المشاركين بالمقام الحجاجي بما يحتاجه من كلمات وألفاظ) (١٠٤) ، ويرى الدكتور أن الدراسة المعجمية للألفاظ لها أهمية حجاجية لأنها تسهم في بناء الحجة وتعمل على تقديم الفكرة المراد تمريرها للمتلقي ، وإضافة إلى ذلك يرى الدكتور أن المعجم هو الملاذ اللغوي الأهم في تشكيل الخطاب الحجاجي.(١٠٥)

المستوى التركيبي : ويقصد به تلك الدلالات التي تتجاوز اللفظة المفردة الواحدة إلى المفردات والألفاظ حين يتألف بعضها مع بعض ، ولأهمية هذا المستوى في الخطاب الحجاجي لايمكن لأي طرف أن يستغني عنه (١٠٦) . ولهذا المستوى أنماط وأشكال لغوية مختلفة وكثيرة ، لكن الدكتور محمد قد سجل أكثر هذه الأنماط والأشكال استعمالا والتي لها أهمية كبيرة في العملية الحجاجية وهي كما ذكرها : (النفي، الوصف ، التعليل ، التأكيد ، الاستفهام ، التكرار ،) (١٠٧)

المستوى التصويري : يعرف الدكتور الصورة في الخطاب بأنها : (تركيب لغوي لتجسيد معنى عقلي وعاطفي متخيل ، لعلاقة بين شيئين يمكن تصويرهما والجمع بينهما بأساليب عدة)(١٠٨) . ويُعقّب الدكتور على هذا المستوى مقارنا بين سماته الحجاجية وبين سمات المستوى السابق بقوله : (ولئن كان الخطاب الحجاجي في الأساليب التركيبية السابقة اتسم بوضوح الدلالة وضوحا مباشرا لا لبس فيه فإنه هنا سيكون مكتسيا ببعد إيحائي تخييلي) (١٠٩) ، ويرصد الدكتور أن الأشكال الحجاجية المتصلة بهذا المستوى تتنوع و من أهمها: (التشبيه و الاستعارة) . (١١٠)

المستوى التحسيني : وهو ما يعرف عند أرباب البلاغة ب(علم البديع) ، وعن أهمية هذا المستوى التقني في العملية الحجاجية يورد الدكتور نصوصا للباحثين يؤكد بها أهمية هذا المستوى في الخطاب الحجاجي ، ومن ذلك ما نقله عن الدكتور والفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن حين ذكر أن بعض أساليب البديع في الخطاب الحجاجي (ليست طرق اصطناع وتحسين ، وإنما هي أصلا أساليب للإبلاغ والتبليغ) (١١١) ويعزز رأيه أيضا بما ذهب إليه الدكتور عبد الهادي الشهري الذي ينفي الوظيفة الشكلية للمحسنات البديعية ويرى أن (هذا الرأي ليس صحيحا ،إذ إن لها دورا حجاجيا

---

(١٠٣) ينظر : الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج : ١٧٢ .

(١٠٤) المصدر نفسه :١٧٣ .

(١٠٥) ينظر: المصدر السابق : ١٧٣ .

(١٠٦) ينظر : المصدر السابق :١٧٧ .

(١٠٧) ينظر: المصدر السابق : ١٧٣ – ١٩٧ .

(١٠٨) المصدر السابق : ١٩٧ .

(١٠٩) السابق : ١٩٧ .

(١١٠) ينظر: السابق : ١٩٧ – ٢٠١ .

(١١١) اللسان والميزان : ٢٩٠ ، و ينظر :الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج : ٢٠٨ .

يهدف إلى الإقناع والتبليغ) (١١٢) ، ومثلما أشار الدكتور محمد بن سعد إلى أهم الأشكال المستعملة من المستويات السابقة ودورها التقني في العملية الحجاجية، كذلك يشير الدكتور إلى أبرز الأشكال البديعية التي يوظفها المتحججان في خطابهم الإقناعي وهي : (الطباق ، السجع ، الجناس) (١١٣)
التعارض : يقول الباحث اللساني المغربي لحسين بنو هاشم أن الأنساق الصورية لا تقبل التناقض ، لأن إدخال قضية ونقيضها في نفس النسق الصوري يجعل النسق مفككا (١١٤) ويذهب غيره من الباحثين إلى أن التناقض المطلق غير متحقق في الخطاب الحجاجي إلا بنسبة قليلة لكن العملية الحجاجية كثيرا ما نشهد فيها توافر التعارض وليس التناقض (١١٥) ، ويؤكد ذلك مجددا اللساني لحسين بنو هاشم بقوله (ففي الحجاج لانكون أمام تناقض بل أمام تعارض) (١١٦) ، وذلك حينما يقع المحاجج دون رغبة منه في تضارب بين قاعدة أثبتها أو دعوى دافع عنها أو موقف تبناه وبين دعوى أو قاعدة سبق أن أثبتها أو كانت مسلما بها عند الجميع(١١٧) وعند الوقوع في مأزق التعارض يضع بيرلمان حلا للمُحاجج لتخليصه من هذا المأزق قائلا : (إن التعارض يفرض على المرء أن يختار وأن يعين القاعدة الواجب اتباعها في حالة وجود تضارب ، وعليه أن يتخلى عن الخيار الثاني أو يقلص مداه) (١١٨) ، لكن الدكتور محمد بن سعد الدكان يعرض حلا آخر للتخلص من الوقوع في فخ التعارض وهو : (أن المُحاجج متى ما أراد دفع مبدأ معينا أنشأ مفارقة بينه وبين نتائجه السلبية)(١١٩)

أما عن أهمية تقنية التعارض في الفكر الحجاجي للدكتور فيذكر أن (هذه التقنية تبدو أكثر جهدا وعملا وتحفيزا عقليا ، حيث يتفرغ المتكلم في مشهد من مشاهد الحجاج إلى محاولة الكشف عن التناقض الظاهر له في أفكار الخصم المقابل وفي آرائه وتصوراته) (١٢٠) ، ويخلص الدكتور إلى حقية مفادها هو علماؤنا العرب والمسلمين لم يغفلوا عن أهمية هذه التقنية في مقاماتهم الحجاجية بل فطنوا لها و أقاموا لها تعريفات في مدوناتهم ومنهم : الحسين بن عبد الله ابن سينا (توفي٤٢٨ ه)، و يوسف بن أبي بكر أبو يعقوب السكاكي (توفي ٦٢٦ ه) ، و عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (توفي ٩١١ ه) (١٢١) .

الاستشهاد : يعد الشاهد من التقنيات الحجاجية التي تقوم على المشابهة بين حالتين نصل بواسطة المقارنة بينهما إلى إلى نتيجة (١٢٢) ، وهو أيضا من الحجج الجاهزة التي تدور حول تقوية

---

(١١٢) استراتيجيات الخطاب : ٤٩٧ ، وينظر : الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج : ٢٠٩ .

(١١٣) ينظر: الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج : ٢٠٩ – ٢٠١٣ .

(١١٤) ينظر: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان ٦١.

(١١٥) ينظر: الحجاج في الشعر العربي :٩٢ .

(١١٦) نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : ٦١

(١١٧) ينظر: المصدر نفسه :٦١.

(١١٨) المصدر نفسه :٦٢ .

(١١٩) الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج :٢٢٦ .

(١٢٠) الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج :٢٢٦ .

(١٢١) ينظر: الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج: ٢٢٦ .

(١٢٢) ينظر: الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي: ٥٢.

الأطروحة ويكتسب قوته الإقناعية من مصدره ،بوصفه فعلا ناجما من اختيارات الباث ومن مصادقة الناس عليها وتواترها (١٢٣) ، وعن الطبيعة العملية للحجاج بالشاهد يقول شاييم بيرلمان عندما يُحاجج المرء بالشاهد معناه وجود افتراض و انتظام أو إطراد يوفر للشاهد تجسيدا له ، فهو يسعى إلى إثبات القاعدة ، ويسعى إلى المرور من حالة خاصة إلى حالة عامة (١٢٤) ، و عند البحث في التفكير الحجاجي للدكتور محمد بن سعد الدكان نجد أنه قد حدد الميزات الحجاجية لهذه التقنية فقد ذكر: أن هذه التقنية تتميز بما يحويه العقل ، وما يسعه الذهن من شواهد وأقوال تشكل سلطة مرجعية معتبرة تمكن كلا من طرفي العملية الحجاجية من انتزاع التسليم من الآخر ، والحصول على الإذعان للفكرة (١٢٥)

وفيما يمكن أن يندرج تحت مضمون الشواهد وعده من ضمن هذه التقنية يعلق الدكتور أنه هنالك أنواع كثيرة يمكن اعتمادها من جنس الشاهد ، وأهمها : الآيات القرآنية ، والحديث النبوي الشريف ، والأبيات الشعرية ، والأمثال والحكم ، ويضاف إلى ذلك ما يكتنز في ذهن المتكلم من أقوال الخطباء وصناع الرأي أو أقوال أئمة المذاهب الأربعة ، وكبار المفكرين ، ورموز الحكمة وكل ما يعتد بقوله) .

الخاتمة :

أسفرت هذه الدراسة المعمقة عن طائفة مهمة من الاستنتاجات هي :

_ تعدد التعريفات الموضحة لمفهوم الحجاج والتي ذكرها الباحثون في دراساتهم وتباينها في بعض الأحيان .

_ يرى محمد بن سعد الدكان أنه على الرغم من الاختلاف الكبير في تعريف الحجاج ، غير أن هذه التعريفات يمكن جمعها ضمن إطار عام و هو مقام حواري يحيل على وجود طرفين اثنين على الأقل وهي بذلك تقتضي تكلم من طرف في مقابل مستمع لايتدخل في الحوار كما هو الحال في الخطابة .

_ وحين نسلط الضوء على المبادئ الحجاجية في تفكير الدكتور محمد بن سعد الدكان نرى أنها مقومات عامة لهذا النشاط التواصلي التفاعلي .

_ ثمة نصوص تشي بوضوح على اعتقاد الدكتور بأن هنالك جذور تاريخية في التراث ولاسيما العربي المبادئ الحجاجية وهي نتيجة تراكمية من البحث والإثراء ، إذ إن القارئ للفكر الحجاجي عند الدكتور سيشعر بالعمق التاريخي والامتداد التراثي في كاتباته ، حينما يجد أنه قد استظهر جهود العرب والمسلمين في التأصيل هذه المبادئ .

_ إن الحديث في تفكير الدكتور عن مبادئ التواصل الحجاجي يمثل حديثا عن جملة من القواعد العامة والكليات الكبرى ، ويبدو أن هناك قيمة وظيفة لهذه المبادئ في نظر الدكتور، إذ أنه يرهن عملية ضبط المقام الحجاجي والمسار التحاوري بهذه المبادئ.

---

(١٢٣) ينظر : في بلاغة الخطاب الإقناعي : ٩٠ ، والخطاب الحجاجي لأهل البيت ١٤٦ .

(١٢٤) ينظر: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان :٨٦ .

(١٢٥) ينظر: الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج :٢٣٣ .

(١٢٦) ينظر : المصدر نفسه : ٢٣٤,٢٣٣ .

_ ينص التفكير الحجاجي للدكتور على أن (مبدأ التعاون) هو الأهم على الإطلاق من بين المبادئ الأخرى . كما ومن تفكيره أيضا ظهر أن للمبدأ الثاني (مبدأ التأدب) قيمة وظيفية يمكن الاستفادة منها بما يتفق مع خصوصية الخطاب الحجاجي.

-و في ما يخص (مبدأ المواجهة) ،يرى الباحث الدكتور محمد سعد أننا في هذا المبدأ بحاجة إلى التركيز على بعد أخلاقي مهم يعمل على حفظ المسافة الأخلاقية بين طرفي العملية الحجاجية.
-إن المتتبع للفكر الحجاجي لدى الدكتور محمد بن سعد سيجد عنده أن مبدأ التصديق يشكل إحراجا منهجيا وتداوليا كبيرا أكثر من غيره من المبادئ الحجاجية لان من خلاله يتم امتحان الكفاءة الحجاجية والمقدرة على تطبيق هذا المبدأ وقواعده في السياق حجاجي ، وقد تقرر لدى الفكر الحجاجي للدكتور محمد بن سعد حول الاعتراف ، أنه يتم الاعتراف بالمُناظر ، أو الآخر ، أو المُحاجج في أي مقام حجاجي ، حين ندرك أن هذا الآخر لديه من التصورات والمعتقدات حول فكرة ما ماهو موجود لدينا نحن من هذه التصورات .

_ ومما ينتظم في سياق الحديث على المنطلقات الحجاجية وبحسب مايقتضيه الفكر الحجاجي للدكتور محمد بن سعد الدكان ، أن هذه المنطلقات في حقيقتها منطلقات ثرية وشاسعة ومتنوعة ، تلزم المُحاجج انتقاء وتنظيما تكتسب بهما فاعليتهما الحجاجية ، ومناسبتهما للجمهور الذي تتوجه إليه ، هذا أولا ، كما أنها تتطلب انتقاءً حسب الموضوع والفكرة التي يدور حولها الحجاج ، وبهذا الاختيار والانتقاء لهذه المنطلقات يثبت المحاجج شيئا من كفائته الحجاجية .

- وضمن إطار الفكر الحجاجي لدى الدكتور محمد بن سعد نلحظ أنه يرى القيم الحجاجية (نظاما إنسانيا ، وسلوكا رمزيا ، ومنطلقا مهما في التفاعل الحجاجي) (وتظهر أهمية القيم الحجاجية لديه من خلال تعبيرها عن مواقفنا المواجهة للواقع ، وأن لها حضورا مكثفا في أي عمل حجاجي ، يؤهلها لأن ترتقي إلى المظاهر الكونية ، إذ أن القيم عند شخص ما هي أمر عفوي ،وأنها مفعمة بالحساسية ، فضلا عن كونها فضاء واسع .

-وفي مسار التقنيات الحجاجية يؤكد الدكتور محمد بن سعد على أهمية هذه التقنيات فيقول: (هذا مفصل مهم من مفاصل الحجاج ، ومضرب من مضارب التناظر ، يعبر عن جملة من الأساليب والأدوات ، والتقنيات ، التي تعين المتكلم على القيام بالدور التخاطبي المنتظر منه في تبادله الحجاجي مع الآخر ،وعن طبيعة هذه التقنيات يقول الدكتور : فهي عبارة عن قوالب لها أدوارها التي تنظم العلاقات بين الحجج والنتائج ، أو تعين المخاطب على تقديم حججه بالطريقة التي تناسب السياق .
يتفرد الدكتور عن بقية اللسانيين الذين تناولوا تقسيم التقنيات الحجاجية ،لأن فكر الدكتور محمد بن سعد الدكان يؤكد أن لها وجوها أخرى وتصنيفا مختلفا ،إذ عمل على تقسيم هذه التقنيات على(تقنيات لغوية) و (تقنيات عقلية) ولكل من هذه الأقسام مستويات ووحدات فرعية ووظائف حجاجية .
ومما ينتظم في سياق التقنيات الحجاجية ، لم يستبعد الفكر الحجاجي للدكتور كثيرا من المحسنات البديعية عن الوظائف الإقناعية أو الحجاجية ، فهو يؤكد على أهمية المحسنات البديعية في إيصال الأفكار على المتلقي . وهو ما يمكن أن تفرد آخر من قبل الدكتور في ادخال هذا النوع من التقنيات الحجاجية .

من الجدير بالذكر أن الدكتور في جميع مباحثه الحجاجية التي تناولها لم يتنصل عن تسجيل السبق لعلمائنا العرب والمسلمين في هذا المضمار ولم يغفل عن ذكر جذور النظرية الحجاجية في أغلب مباحثها عند علمائنا العرب والمسلمين ، وهو مايمكن أن نعده وفاءً من الباحث لأسلافه وجهد كبير أيضا .

المصادر

١- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥)،مطبعة نشر الثقافة الإسلامية ، مصر ،ط١ ت.ط ٢٠٠٧.
٢- استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ت.ط ٢٠٤ .
٣- الألفاظ المستعملة في المنطق : محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ أبو نصر الفارابي ت ٣٣٨، تح :محمد فؤاد عبد المنعم ،مؤسسة الإسكندرية للنشر. القاهرة، ط١، ت.ط ١٩٧٨.
٤- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية منذ أرسطو إلى اليوم : فريق بحث البلاغة والحجاج، إشراف الدكتور :حمادي صمود، مجلة جامعة الآداب، تونس، ع١.
٥- تاج العروس من جواهر القاموس : محمد بن محمد أبو الفيض مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥ه)، تح: مجموعة محققين، الناشر : دار الهداية
٦- التداولية من أوستين إلى غوفمان : فيليب لانشيه : ترجمة صابر حباشة ، دار المغرب للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ت. ط ٢٠١٣ .
٧- تهذيب فن المنطق شرح على متن إيساغوجي للإمام المتقن العلامة أثير الدين المفضل بن عمر الأبهري المتوفى سنة ٦٦٣هـ تحقيق محمد صبحي العايدي.
٨- الحجاج اللغوي وقراءات في أعمال أبي بكر العزاوي:مجموعة مؤلفين، تنسيق د. حسن مسكين:عالم الكتب الحديث إربد الأردن:ط١.ت.ط٢٠١٧
٩- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه : د. سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث إربد – الأردن ط٢ ،ت.ط ٢٠١١م .
١٠- الحوار الاختلافي أو مسلك التناظر الكلامي ، د. العياشي إدواري ،دار إفريقيا الشرق ، المغرب ، ط١ ، ت.ط :٢٠١٢ .
١١- الخطاب الحجاجي لأهل البيت في كتاب الاحتجاج ، دراسة تداولية ، عبد الحسين علي حبيب شبيب الناصر ، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة ، ط ١ ، ت.ط ٢٠١٨ .
١٢- الخطاب والحجاج: أبو بكر العزاوي ،مؤسسة الرحاب الحديثة ،بيروت، لبنان ط١،ت.ط٢٠١٠م.
١٣- رسائل الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط١ ، ت.ط ١٩٦٤ م .
١٤- العقل الأخلاقي العربي ، دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية ، د. محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. لبنان ، ط١، ت.ط ٢٠٠١ م.
١٥- عندما نتواصل مع الغير ، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، د. عبد السلام عشير ،إفريقيا الشرق ، المغرب ، الدار البيضاء ، ط١ ، ت.ط ٢٠٠٦ .

١٦- العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، د. عز الدين الناجح ، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع ، صفاقس- تونس ، ط١ ، ت.ط ٢٠١١ .
١٧- الغير ، نصوص فلسفية مختارة ،إعداد وترجمة : محمد الهلالي ، وعزيز الأزرق ، دار توبيقال ، المغرب ،ط١، ت.ط ٢٠١٠ .
١٨- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام : د. طه عبد الرحمن ، لبنان بيروت ، ط٣ ، ت. ط:٢٠٠٧ المركز الثقافي العربي .
١٩- في منطق بور ريال :د. حمو النقاري ، دار الكتاب الجديد ، بنغازي ،ليبيا ، ط١ ، ت.ط ٢٠١٣ .
٢٠- في نظرية الحجاج ، د. عبد الله صولة ، مسكلياني للنشر والتوزيع ، تونس ، ط١ ، ت.ط ٢٠١١ .
٢١- الكافية في الجدل ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ) ، تح فوقية حسين محمود ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ت.ط ١٩٧٩.
٢٢- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : المركز الثقافي العربي، الدار البيضاءالمغرب ،ط١ ١٩٩٢.
٢٣- اللغة والحجاج: أبو بكر العزاوي، عمدة للطبع والنشر، ط.١،ت.ط:٢٠٠٦م.
٢٤- مبادئ فلسفة التعايش ، عبد العزيز بومسهولي ، دار إفريقيا ، الشرق ، المغرب ط١ ، ت.ط ٢٠١٢ .
٢٥- مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري ، أبي الحسن علي بن إسماعيل أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) من إملاء أبي بكر محمد بن حسن بن فورك ، تح : دانيال جيمارية ، دار المشرق ، بيروت ، ط١ ، ت.ط ١٩٨٧ م .
٢٦- معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت٣٩٥ه)، تح: عبد السلام محمد هارون : الناشر: إتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢ م.
٢٧- معيار العلم في فن المنطق ،أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) تح :الدكتور سليمان دنيا دار المعارف، مصر ١٩٦١ م .
٢٨- الملفوظات الحجاجية في خطب الإمام الحسن دراسة في هدي اللسانيات ، د. ظافر الجياشي ، الناشر : جمعية العميد العلمية والفكرية ، العراق ،كربلاء ، ط١، ت.ط ٢٠٢٢.
٢٩- منطق الكلام ، من المنطق الجدلي الفلسفي ، إلى المنطق الحجاجي الأصولي ، د. حمو النقاري ، دار الأمان – المغرب - الرباط ، ط١ ، ت.ط ٢٠٠٥ .
٣٠- منطق الكلام من المنطق الجدلي الفلسفي غلى المنطق الحجاجي الأصولي ، د. حمو النقاري ، دار الأمان – المغرب – الرباط ط١ ، ت. ط٢٠٠٥ .
٣١- المنهاج في ترتيب الحجاج : أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤ هـ) ، مكتبة الرشد ، الرياض ط١ ت.ط ٢٠٠٤.
٣٢- النظريات اللسانية الكبرى ، من النحو المقارن إلى الذرائعية ،ماري آن بافو ، جورج سرفاني ، ترجمة محمد الراصفي ، المنظمة العربية للترجمة ، توزيع مركز الدراسات العربية بيرت ، ط١ ، ت. ط٢٠١٢.
٣٣- نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان ، د. الحسين بنو الهاشم ، دار الكتاب الجديد ، بنغازي –ليبيا ، ط١ ، ت.ط٢٠١٤ .

الرسائل والأطاريح:

أطروحة الحجاج بين الدرس البلاغي العربي ، والدرس اللساني الغربي ، دراسة تقابلية مقارنة ، الطالب : نور الدين بوزناشة ، جامعة محمد لمين ، كلية الآداب و اللغات ، الجزائر ٢٠١٦ .

- أطروحة الحجاج اللغوي في الدراسات اللسانية العربية الأصول والامتدادات (أطروحة) خالد سعد عبد الله ،كلية التربية ابن رشد ت:٢٠١٧ .

البحوث:

بحث القيم والمواضع الحجاجية في رسائل المقري : سهيلة عبد الحفيظ ، العياشي عمري ص: ٣٦٥ ، مجلة إشكالات في اللغة والأدب ، مجلد ١١ ، عدد ٣٣ سنة ٢٠٢٢ .